﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الإسراء: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بَـيـانُ عَـظـيـمِ قُـدْرَةِ اللهِ تَعالى وَسَعَةِ عِلْمِهِ

لَمّا ذكرَ اللّهُ سُبحانَهُ آيَتَي اللَّيْلِ والنَّهارِ، وكانَ ذلكَ أَمْرًا دَقيقًا؛ أَتْبَعَهُ ما هو أَدَقُّ مِنْهُ وأَغْرَبُ في بيانِ قُدْرَةِ اللّهِ سُبحانَهُ وعِلْمِهِ مِن تَفاصيلِ أحوالِ العبادِ، فقال تَعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَلْزَمْنَٰهُ﴾: اللّامُ والزّايُ والميمُ تدور اشتقاقاتُها على مصاحبَةِ شيءٍ لآخَرَ على وَجْهِ الدَّوام، ومِنْهُ: اللِّزامُ؛ وهوَ العذابُ الملازِمُ للكُفّارِ[2]، ومِنْ هذا البابِ قولُ اللّهِ تَعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: 26]، أي: جَعَلَهُم يُمْسِكونَها في قُلوبِهِم علَى وَجْهٍ لا تَتَفَلَّتُ مِنْهُم[3]، وقولُ اللّهِ ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾، أي: جَعَلَهُ يَصْحَبُهُ، ولا يُفارِقُهُ.

2) ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾: الطّاءُ والياءُ والرّاءُ تدور اشتقاقاتُها على خِفَّةِ الشَّيءِ في الهواءِ، ثُمَّ يُستعارُ ذلكَ في كُلِّ سُرْعَةٍ، ويُقال لِكُلِّ مَنْ خفَّ: قَدْ طارَ، وَمِنْ ذلك: الطّائرُ، والجمعُ: طَيْرٌ، وهو كُلُّ ذي جناحٍ يَسْبَحُ في الهواءِ، وتقولُ العربُ: تطايرَ الشَّيءُ؛ إذا تفرَّقَ، واستطارَ الفَجْرُ والبَرْقُ، أي: انتشَرَ في الأفقِ، ومِنْ هذا المَعْنى قولُ اللّهِ تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: 7]، أي: منتَشِرًا[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 386.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لزم).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (لزم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طير)، والرّاغب، المفردات: (طير)، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (طير).

وأمّا قولُ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾، أَيْ: عَمَلَهُ الذي طارَ عَنْهُ مِن خَيْرٍ وَشَرٍّ[1].

3) ﴿عُنُقِهِۦ﴾: العينُ والنّونُ والقافُ تدلُّ تصريفاتُها على امتدادٍ في شيءٍ، إمّا على وَجْهِ الارْتِفاعِ وإمّا على وَجْهِ الانْسياحِ، ومِنْهُ: العُنُقُ، وهوَ الوُصْلَةُ التي ما بينَ الرَّأسِ والجسَدِ[2]، وهوَ المرادُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾.

4) ﴿يَلْقَىٰهُ﴾: اللّامُ والقافُ والحرفُ المعتلُّ يدلُّ كثيرٌ من تصريفاتِها على توافي شيئينِ[3]، ومِنْهُ اللِّقاءُ، وهوَ استقبالُ الشَّخصِ أوِ الشَّيءِ قريبًا مِنْهُ[4]، واللِّقاءُ يُقالُ في الإدْراكِ بالحِسِّ وبالبصَرِ وبالبصيرَةِ[5]، وقولُ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ بمَعْنى: يُصادِفُهُ ويُعايِنُهُ.

5) ﴿مَنشُورًا﴾: النّونُ والشّينُ والرّاءُ تدورُ اشتقاقاتُها على فَتْحِ شيءٍ وتشَعُّبِهِ، وَمِنْهُ قولُهم: نَشَرْتُ الكِتابَ، وهوَ يشبه قولكَ: طَوَيْتُهُ[6]، ونَشْرُ الثَّوْبِ والصَّحيفَةِ: بَسْطُها[7]، وقولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ أَيْ: يُخْرِجُ اللهُ تَعالى لَهُ يَوْمَ القيامَةِ كِتابًا قَدْ سُجِّلت فيهِ أَعْمالُهُ يَراهُ مَفْتوحًا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كُـلُّ إنْـسـانٍ مُقْتَرِنٌ بِعَمَلِهِ

لقدِ اقتضتْ حِكمةُ اللهِ وقُدرتُه وسَعةُ علمِه وشُمولُ عدْلِه أن يجعلَ لكلّ إنسانٍ ما قُضيَ لَهُ أنَّه عامِلُهُ ملازمًا له، وهو صائِرٌ إلَيْهِ

(1) الرّاغب، المفردات: (طير).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عنق)، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عنق).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لقي).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (لقي).
(5) الرّاغب، المفردات: (لقي).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نشر).
(7) الراغب، المفردات: (نشر).

مِن شَقاء أو سَعادَةٍ بِعَمَلِهِ في عُنُقِه لا يُفارِقُهُ، فلا يُحاسَبُ بِعَمَلِ غَيْرِه، ولا يُحاسَبُ غيرُه بِعَمَلِه، ويُخْرِجُ اللّٰهُ تَعالى لَهُ يومَ القيامَةِ كِتابًا قَد سُجِّلَتْ فيهِ أَعْمالُهُ يَراهُ مَفْتوحًا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دِلالَةُ الواوِ في ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ﴾:

إحاطَةُ اللهِ تَعالى بِالخَلْقِ عِلْمًا

الواوُ في ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ عاطِفَةٌ الجملةَ بعدَها على قولِهِ قَبْلُ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾، مِنْ بابِ عَطْفِ الخاصِّ على العامِّ؛ اهتمامًا بشَأْنِ الفَرْدِ الخاصِّ، وذلك لأنَّ اللّٰهَ سُبحانَهُ أخبرَ أنَّه محيطٌ بكلِّ شيءٍ تفصيلًا، ثمَّ لمّا كان أهمُّ الأشياءِ في هذا المقامِ إحاطةَ عِلْمِهِ بالأعمالِ كُلِّها؛ أعقبَ ذِكْرَ ما فصَّلَهُ اللّٰهُ ﷻ مِنَ الأشياءِ بالتَّنبيه على تفصيلِ أعمالِ العبادِ تفصيلًا لا يَقْبَلُ الرَّيْبَ[2].

دِلالَةُ إضافَةِ ﴿وَكُلَّ﴾ إلى ﴿إِنسَٰنٍ﴾:

لا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ أعمالِ العِبادِ عَنْ عِلْمِ اللهِ سُبْحانَهُ

في التَّعْبيرِ بلَفْظِ ﴿وَكُلَّ﴾ مُضافًا إلى ﴿إِنسَٰنٍ﴾ في قَوْلِ اللّٰهِ ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ مبالغةٌ في الإحاطَةِ والاستغراقِ، وأنَّ اللّٰهَ سُبحانَهُ قد وسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شيءٍ، وأنَّه أحصى أعمالَ العبادِ كُلَّها، لا يَخْرُجُ مِنْها شيءٌ عَنْ عِلْمِهِ تَعالى.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالإِلْزامِ في: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ﴾:

التَّنْبيهُ إلى أَنَّ أَعْمالَ العِبادِ مُلازِمَةٌ لَهُمْ

في التَّعبير بالإِلْزام في قَوْلِ اللّٰهِ ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ تَنْبيهٌ إلى أنَّ عمَلَ العَبْدِ لازِمٌ مقارِنٌ لَهُ ممتَنِعُ الزَّوالِ عَنْهُ، وأنَّهُ واجبُ الحصولِ لَهُ لا محالَةَ[3].

التَّعْبير بِالماضي ﴿أَلْزَمْنَٰهُ﴾ وَإِسْناده إِلى الضَّمِير (نا):

عِلْمُ اللهِ سُبْحانَهُ بِجَميعِ أَحْوالِ الخَلْقِ

في التَّعبير بالفِعْلِ الماضي ﴿أَلْزَمْنَٰهُ﴾ مِنْ قولِ اللّٰهِ ﷻ: ﴿وَكُلَّ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 397، ونخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 283.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 46.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 20/ 309.

إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ لتحقيقِ وصفِ الإلْزامِ، وأنَّ اللّٰهَ سُبحانَهُ محيطٌ بأعمالِ العبادِ عالمٌ بجميعِ أحوالِهم، ولعظَمَةِ هذا الإلْزامِ أُسْنِدَ فِعْلُهُ إلى الضَّميرِ (نا) الدّالِّ على العَظَمَةِ؛ لأنَّ ما صدرَ مِنَ العظيمِ عظيمٌ[1].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالطّائِرِ عَنِ العَمَلِ:

ما قَدَّرَهُ اللهُ تَعالى عَلى العِبادِ مِنْ أَعْمالِهِمْ كائِنٌ لا مَحالَةَ

الطّائر في قولِ اللّٰهِ سُبحانَهُ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ هوَ عملُ العبْدِ الذي قَدَّرهُ اللّٰهُ تَعالى عليهِ مِنْ خيرٍ أَوْ شرٍّ، وفي التَّعبير عَنِ العَمَلِ بالطّائِرِ وَجْهان[2]:

أحدُهُما: أنَّه عُبِّر بِهِ جَرْيًا على عادَةِ العربِ، فإنَّهم كانوا لا يُقْدِمون، ولا يُحْجمونَ في مهمّاتِ الأعمال إلّا بالطّائِرِ، وكان مِنْ عادتِها التَّيمُّنُ والتَّشاؤُمُ بالطَّيْرِ، فيقولونَ: جرى لفلانٍ الطّائِرُ بكَذا وكذا، فخاطَبَ اللّٰهُ سُبحانَهُ العربَ بما تَعْرِفُ.

والآخَرُ: أنَّه عُبِّر عَنِ العملِ الصّادرِ عنِ العَبْدِ باختيارِهِ حسبما قُدِّرَ لَهُ بالطّائرِ؛ لأنَّهُ كالذي طارَ إليهِ مِنَ الغَيْبِ والقدَرِ، أو أنَّ ذلك ما وقع له في القسمة الإلهيَّة والتَّقدير الرَّبّانيّ حسبَ استحقاقِهِ في علْمِ اللّٰهِ سُبحانَهُ، مِنْ قولِهم: طارَ لَهُ سَهْمُ كَذا.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالحَرْفِ ﴿فِى﴾:

لُزومُ عَمَلِ العِبادِ في أَعْناقِهِمْ وَمُصاحَبَتُهُ لَهُمْ عَلى الدَّوامِ

عُبِّرَ بحرفِ الجرِّ ﴿فِى﴾ دون (عَلى) في قولِ اللّٰه ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾؛ لدِلالَةِ ﴿فِى﴾ عَلى الظَّرْفيَّة، فَهيَ أدلُّ عَلى لُزومِ عمَلِ العِباد في أَعْناقِهم ومُصاحَبَتِه لَهُم مُصاحَبَةً دائمَةً، بخِلافِ (على) فإنَّها دالَّةٌ عَلى مُطْلَقِ العُلوِّ أوِ الاسْتِعْلاء من غَيْرِ دِلالَةٍ عَلى مُلازمةٍ أَوْ دَوام.

---

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 20/ 309.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 442، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 21، والبقاعي، نظم الدرر: 11/ 386 - 387، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 161.

سِرُّ التَّخْصيصِ بِلَفْظِ العُنُقِ:

ظُـهـورُ العَـمَـلِ لِـلـعَـبْـدِ ظُـهـورًا لا لَبْسَ فيهِ وَلا خَفاءَ

خُصَّ لفظُ العُنُقِ بالذِّكْرِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ لنكاتٍ[1]:

أوَّلُها: لأنَّ العُنُقَ محلُّ الزَّيْنِ بالقلادَةِ ونحوِها، ومحلُّ الشَّيْنِ بالغُلِّ ونحوِهِ، وكذا عَمَلُ العبادِ إمّا أن يكونَ خيرًا يَزينُهُم أَوْ شرًّا يشينُهُمْ.

ثانيها: أنَّه أبلَغُ في تَحْقيقِ مَقْصودِ الآيةِ مِنْ إفادَةِ اللُّزومِ، أي: إنَّ عملَ العبدِ ملازمٌ لَهُ لا يقدرُ على الانفكاكِ عَنْ شيءٍ مِنْهُ، كما لا يُقْدَرُ على الانفكاكِ عَنِ العُنُقِ.

ثالثُها: أنَّ العُنُقَ هو العُضْوُ الذي يَبْقى مكشوفًا عادَةً، يظهَرُ ما عليهِ مِمّا يَزينُ أو يَشينُ، وكذا عَمَلُ الإنسانِ يظْهَرُ لَهُ ظهورًا لا لَبْسَ فيه ولا خفاءَ، ولذا خُتِمَت الآيةُ بقولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾.

بَلاغَةُ الكِنايَةِ في التَّعْبيرِ بِالعُنُقِ:

شِـــدَّةُ لُـــزومِ الأَعْمالِ لِلعِبادِ وكَمالُ ارْتِباطِها بِهِمْ

في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ كنايةٌ عَنْ صِفَةٍ، وهي صفةُ الملازَمَةِ والقُرْبِ، فتكونُ الآيَةُ كِنايَةً عَنْ مُلازَمَةِ أَعْمالِ العِبادِ لَهُمْ، لا تُزايِلُهُمْ، ولا تُفارِقُهُمْ يَوْمَ القيامَةِ، كما يُقال: جعلتُ هذا في عُنُقِكَ، أي: قلَّدتُكَ هَذا العَمَلَ، وألزمتُكَ الاحتفاظَ بِهِ، ومِنْهُ قولُهُم: قَلَّدَهُ السُّلْطانُ كذا، أي: صارَتِ الولايَةُ في لزومِها لَهُ في موضعِ القلادَةِ ومَكانِ الطَّوْقِ[2].

وفي التَّعبيرِ بالعُنُقِ تصويرٌ لشدَّةِ اللُّزومِ وكمالِ الارتباطِ، أي: ألزمناهُ عملَهُ بحيثُ لا يُمكنُهُ مفارَقَتُهُ أبدًا[3].

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 443، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 20/ 309، والبقاعي، نظم الدرر: 11/ 387، وإسماعيل حقي، روح البيان: 5/ 140.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 20/ 309، ومحمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4347.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 161، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 31.

ويَحْتَمِلُ أن تكونَ الآيةُ مِنْ بابِ التَّمثيلِ لحالٍ قَدْ تكونُ معروفَةً عِنْدَ العربِ، وهيَ وضعُ علاماتٍ تُعَلَّقُ في رقابِ مَنْ يُعَيَّنُ لعملٍ ما، أَوْ ليُؤخذَ مِنْهُمْ شيءٌ، أو تكونَ الآيةُ تمثيلًا بالبعيرِ الذي يوسَمُ في عُنُقِهِ بِوَسْمٍ لئلّا يَخْتلطَ بغَيْرِهِ، أو الذي يوضَعُ في عُنُقِهِ جُلْجُلٌ - وهوَ الجَرَسُ الصَّغيرُ - لئلّا يضِلَّ عَنْ مالكِهِ[1].

بَلاغَةُ المَجازِ:

أَعْمالُ العِبادِ لا تخلو عن كونها خَيْرًا أَوْ شَرًّا

التَّعبيرِ عنِ العملِ بالطّائِرِ في قَوْلِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ إشارةٌ إلى ما كان عِنْدَ العربِ مِنَ التَّفاؤُلِ والتَّشاؤُمِ، فاللّهُ ﷻ بيَّنَ أنَّ العملَ مشابِهٌ لِما كانوا يتَّخِذونَهُ لِلتَّفاؤُلِ والتَّشاؤُمِ، ولكنَّهُ عملٌ هوَ خيرٌ لَكُمْ أو شرٌّ عليكُمْ، وذلك على طريقَةِ الاستعارَةِ التَّصريحيَّةِ، وعُبِّرَ عَنْهُ بملازَمَتِهِ الأعناقَ؛ لكونِ العنُقِ تكونُ به القلائدُ، فكان ذلكَ على سبيلِ الاستعارةِ التّصريحيّة[2].

دِلالَةُ الواوِ في: ﴿وَنُخْرِجُ﴾:

بَيانُ حالٍ أُخْرى مِنْ أَحْوالِ الآخِرَةِ

الواوُ في ﴿وَنُخْرِجُ﴾ مِنْ قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ عاطِفَةٌ الجملةَ بَعْدَها عَلى جملةِ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾؛ لِما بينَهُما مِنَ التَّوسُّطِ بين الكمالَيْنِ؛ إذِ اشتركَتِ الجملتانِ في الخبريَّةِ، وبينَهُما تناسُبٌ في اللَّفْظِ والمَعْنى، أمّا في اللَّفْظِ؛ فكلتا الجُملَتَيْنِ فِعْليَّةٌ[3]، وأمّا في المَعْنى؛ فلأنَّ مضمونَ الجملَتَيْنِ في أحوالِ الإنْسانِ في الآخِرَةِ.

أَثَرُ تَعَدُّدِ القِراءاتِ في ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ﴾ عَلى المَعْنى:

التَّكامُلُ الدّلاليُّ لِلقِراءاتِ القُرْآنِيَّةِ

في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ﴾ ثلاثُ قراءاتٍ متواترةٍ[4]:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 47.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 30، ومحمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4348.

(3) جملةُ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ﴾ جملةٌ فعليَّةٌ، لأنَّ لفظَ ﴿وَكُلَّ﴾ منصوبٌ على الاشتغالِ بفِعْلٍ محذوفٍ يُفسِّرُهُ المذكورُ.

(4) ابن الجزري، النشر: 2/ 306، والبنّا الدّمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 356.

أولاها: ﴿وَيُخۡرِجُ لَهُۥ﴾ بياءٍ مضمومةٍ في أوَّلِهِ وفتح الرّاءِ، وهي قراءةُ أبي جَعْفَرٍ، على أنَّ (يُخْرِجُ) فعلٌ مُضارِعٌ مبنيٌّ للمفعولِ مِنَ الفِعْلِ الرُّباعيِّ (أَخْرَجَ)، ونائبُ الفاعِلِ ضميرٌ مستترٌ تقديرُهُ (هوَ)، يعودُ على ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾ المذكورِ قَبْلُ في قولِهِ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾، و﴿كِتَٰبٗا﴾: حالٌ، أو منصوبٌ على المفعوليَّةِ، وذلك جائزٌ[1].

ثانيها: ﴿وَيَخۡرُجُ لَهُۥ﴾ بياءٍ مفتوحةٍ في أوَّلِهِ وضمِّ الرّاءِ، وقرأَ بها يعقوبُ الحضرمي، على أنَّ (يَخْرُجُ) فعلٌ مضارعٌ مبنيٌّ للمَعْلومِ مِنَ الفعلِ الثُّلاثيِّ (خَرَجَ)، وفاعِلُهُ ضميرٌ مستَتِرٌ تقديرُهُ (هوَ)، يَعودُ عَلى ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾، و﴿كِتَٰبٗا﴾ حالٌ.

ثالثُها: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ﴾ بنونٍ مضمومَةٍ في أوَّلِهِ وكسْرِ الرّاءِ، وبِها قَرَأَ باقي العشَرَةِ، على أنَّ (نُخْرِجُ) فعلٌ مضارِعٌ مبنيٌّ للمَعْلومِ مِنَ الفِعْلِ الرُّباعيّ (أَخْرَجَ)، وفاعِلُهُ ضميرٌ مُسْتَتِرٌ وجوبًا، تقديرُهُ (نَحْنُ)، و﴿كِتَٰبٗا﴾ مفعولٌ بِهِ[2].

دِلالَةُ تَقْديمِ الجارِّ وَالمَجْرورِ ﴿لَهُۥ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمَجْرورُ ﴿لَهُۥ﴾ مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا﴾، وحقُّ الجارِّ والمجرورِ التَّأَخُّر، ولم يَرِد في النَّظْمِ القرآنيّ: (وَنُخْرِجُ يومَ القيامَةِ كِتابًا لَهُ)؛ لفائدتين:

كُلُّ عَبْدٍ يُخْرَجُ لَهُ كِتابٌ خاصٌّ بِهِ لا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ

إحْداهُما: أنَّ ذلك يوهِمُ خلافَ المقصودِ؛ إذْ يصيرُ الجارُّ والمَجْرور ﴿لَهُۥ﴾ صفةً لـ ﴿كِتَٰبٗا﴾، فتكونُ الآيةُ مفيدَةً أنَّ كتابًا للعَبْدِ يُخْرَجُ يوم القيامَةِ، مِنْ غيرِ بيانٍ لِمَنْ يُخْرَجُ لَهُ هذا الكتابُ.

ثانيهما: أنَّ الآيَةَ واردَةٌ لإرادَةِ الحَصْرِ، ولذا يتعيَّنُ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ لإفادَةِ هذا المَعْنى، أي: نُخْرِجُ الكتابَ المخصوصَ لَهُ لا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 48.

(2) محمد سالم مُحَيْسِن، المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة: 2/ 338.

لغَيْرِه، والمقصودُ: أنَّ كُلَّ عَبْدٍ يُخْرَجُ لَهُ كتابٌ خاصٌّ بِهِ، لا يَطَّلِعُ عليهِ غيرُهُ.

سِرُّ تَنْكيرِ لَفْظِ ﴿كِتَٰبًا﴾:

نُكِّرَ لَفْظُ ﴿كِتَٰبًا﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾، لإرادَةِ تَفْخيمِهِ وتَعظيمِهِ؛ إذْ مِنْ شأنِ هَذا الكِتابِ أنَّهُ لا يفوتُهُ شيءٌ مِنْ أَعْمالِ العِبادِ إلّا وهوَ مدَوَّنٌ فيهِ، كما قالَ اللهُ سُبحانَهُ: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: 49].

لا يَفوتُ الكِتابَ شَيْءٌ مِنْ أَعْمالِ العِبادِ

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالمُلاقاةِ:

عُبِّرَ بِالمُلاقاةِ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ على وَجْهِ الاستعارَةِ؛ إذِ استُعيرَ فعل (يَلْقى) لمَعْنى (يَجِدُ)؛ تَشْبيهًا لِوُجْدانِ النِّسْبَةِ بلقاءِ الشَّخْصِ، على سبيلِ الاستعارَةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ؛ وذلكَ تحقيقٌ لهذا الوُجْدانِ[1].

تَحْقيقُ مُلاقاةِ كُلِّ إنْسانٍ لِكِتابِهِ

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَلْقَىٰهُ﴾:

عُبِّرَ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ للدَّلالَةِ عَلى حُدوثِ هذِهِ الملاقاةِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ، وَلِتَصْويرِ هذِهِ المُلاقاةِ في صورَةِ ما يحدثُ الآنَ تعظيمًا لشأنِها وتهويلًا لَها؛ حثًّا للعبادِ على اكتسابِ ما تُسْعِدُهُم رُؤيتُهُ في كتابِهِم، واجتنابِ ما يَسوؤُهُم النَّظَرُ إليهِ فيهِ.

حَثُّ العِبادِ عَلى اكْتِسابِ ما تُسْعِدُهُمْ رُؤْيَتُهُ في كِتابِهِمْ

أَثَرُ تَعَدُّدِ القِراءاتِ في قَوْلِهِ: ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ عَلى المَعْنى:

في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ قراءَتانِ مُتَواتِرَتانِ[2]:

إِحْداها: ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ بفتحِ الياءِ وسكونِ اللّامِ وقافٍ مُخَفَّفَةٍ، وبها قرأَ باقي العشرَةِ، على أَنَّهُ فِعْلٌ مضارِعٌ للفِعْلِ (لَقِيَ) الثُّلاثيِّ، مبنيّ

وَفْرَةُ المَعاني بِتَعَدُّدِ القِراءاتِ القُرْآنِيَّةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 48.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/ 306.

للفاعلِ، وفاعِلُهُ ضميرٌ مستَتِرٌ تقديرُهُ (هوَ) راجِعٌ عَلى صاحبِ الكتابِ، وهوَ الإنسانُ المتقدِّمُ ذِكْرُهُ في قولِهِ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾، والهاءُ في ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ في محلِّ نصبٍ مفعولٌ بِهِ[1].

والقراءَةُ الأُخْرى: ﴿يُلَقَّىٰهُ﴾ بضمِّ الياءِ وفتحِ اللّامِ وقافٍ مشدَّدَةٍ، وبها قرأَ ابنُ عامرٍ وأبو جَعْفَر، على أنَّهُ فِعْلٌ مضارِعٌ للفِعْلِ (لَقّى) مضعَّف العَيْنِ، مبنيٌّ للمفعولِ، ونائبُ الفاعِلِ ضميرٌ مستترٌ تقديرُهُ (هوَ) يعودُ على (الإنسان) المذكورِ في قَوْلِهِ قَبْلُ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ﴾، وهوَ مفعولُهُ الأوَّلُ، والهاءُ في ﴿يُلَقَّىٰهُ﴾ مفعولُهُ الثّاني، و﴿مَنشُورًا﴾ حالٌ.

وقراءَةُ التَّخفيفِ فيها إثباتُ اللِّقاءِ، وقراءةُ التَّشديدِ فيها مبالغَةٌ في إثباتِ هَذا اللِّقاءِ، أَوْ يُحْمَلُ على التَّلَقّي[2].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِـ ﴿مَنشُورًا﴾:

في التَّعبيرِ بالنَّشْرِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ تعجيلٌ للبُشْرى بالحسَنَةِ لأَهْلِ الإيمانِ والطّاعَةِ، وتعجيلٌ بالتَّوبيخِ بالسَّيِّئَةِ لأهلِ الكُفْرِ والعِصْيانِ[3].

تَعْجيلُ البِشارَةِ لِأَهْلِ الإيمانِ، وَتَعْجيلُ التَّوْبيخِ لِأَهْلِ الكُفْرانِ

بَلاغَةُ الكِنايَةِ في قَوْلِهِ: ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾:

﴿مَنشُورًا﴾ مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾، معناهُ: غيرُ مطويٍّ، وذلك لِتُمْكِنَ قراءَتُهُ، وفي وصفِ الكتابِ بأنَّه مَنْشورٌ كنايَةٌ عَنْ سُرْعَةِ اطِّلاعِهِ عَلى جميعِ عَمَلِهِ، حتَّى إنَّ الكِتابَ يحضُرُ مِنْ قبْلِ وصولِ صاحبِهِ مفتوحًا للاطِّلاعِ عليهِ[4].

سُرْعَةُ اطِّلاعِ العِبادِ عَلى أَعْمالِهِمُ المُدَوَّنَةِ في كُتُبِهِمْ

(1) محمد سالم مُحَيْسِن، المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة: 2/ 339.
(2) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4348.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 229.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 48.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»